سورةُ الانشِقاقِ
من الآية (16) إلى الآية (25)
الجزء الثاني

المعنى الإجمالي: من الآية (1) إلى الآية (25)

افتَتَح اللهُ تعالى هذه السُّورةَ الكريمةَ بالإخبارِ عن أهوالِ القيامةِ، فقال تعالى: إذا تَشَقَّقت السَّماءُ يومَ القيامةِ وتصَدَّعَت، واستمَعَت لأمرِ رَبِّها وأطاعَتْه في تشَقُّقِها، وحُقَّ لها أن تستَمِعَ لأمْرِه وتُطيعَه، وإذا بُسِطَت الأرضُ فكانت واسِعةً مُسْتَوِيةً لا انخِفاضَ فيها ولا ارتِفاعَ، وألقَت ما في بَطْنِها مِن الأمواتِ إلى سَطْحِها، واستَمَعَت لأمرِ رَبِّها وأطاعَتْه، وحُقَّ لها ذلك- إذا حَدَث ذلك رأَيْتُم أعمالَكم مِن خيرٍ أو شَرٍّ.

ثمَّ قال تعالى موجِّهًا نداءَه إلى الإنسانِ: يا أيُّها الإنسانُ إنَّك عامِلٌ ومُجِدٌّ في عَمَلِك، وساعٍ إلى ربِّك بعَمَلِك لا محالةَ ولا مَفَرَّ، فتَلْقَاه بعَمَلِك ويُجازيك عليه.

يقولُ تعالى مفصِّلًا عاقِبةَ ذلك الكَدْحِ مُبتَدِئًا بحالِ السُّعداءِ: فأمَّا المؤمِنُ الَّذي يُعطَى كِتابَ أعمالِه بيَمينِه، فسَوْفَ يُحاسَبُ يومَ القيامةِ حِسابًا سَهْلًا يَسيرًا بلا مناقَشةٍ، ويَنصَرِفُ إلى أهلِه في الجَنَّةِ مَسرورًا.

ثمَّ يبيِّنُ سُبحانَه حالَ الأشقياءِ، فيقولُ: وأمَّا الكافِرُ الَّذي يُعطَى كِتابَ أعمالِه بشِمالِه مِن خَلْفِ ظَهْرِه، فسَوْفَ يُنادي على نَفْسِه بالهَلاكِ والخُسْرانِ، ويَدخُلُ النَّارَ فيَحتَرِقُ فيها.

ثمَّ يبيِّنُ سُبحانَه الأسبابَ الَّتي أدَّتْ به إلى هذه العاقِبةِ، فيقولُ: إنَّه كان في الدُّنيا مسرورًا في أهلِه باتِّباعِ هَواه وفِعْلِه المعاصيَ، فَرِحًا بدُنْياه وشَهَواتِها، إنَّه ظَنَّ في الدُّنيا أنَّه لن يَرجِعَ إلى رَبِّه بعْدَ مَوتِه؛ لِيُحاسِبَه على أعمالِه، وليس الأمرُ كما يَظُنُّه هذا المكَذِّبُ بالبَعْثِ؛ فإنَّه سيُبعَثُ حَيًّا بعدَ مَوتِه، إنَّ اللهَ بصيرٌ به ومُطَّلِعٌ على أعمالِه، وسيُجازيه عليها.

يقولُ تعالى مُقْسِمًا ببعضِ مخلوقاتِه: فأُقسِمُ بالحُمْرةِ الَّتي تَلُوحُ في الأُفُقِ بعْدَ غُروبِ الشَّمسِ، وباللَّيلِ وما جَمَع مِن مَخلوقاتٍ، وبالقَمَرِ إذا تمَّ واكتَمَل فصار بَدْرًا مُنيرًا؛ لَتَرْكَبُنَّ -أيُّها الناسُ- حالًا بَعْدَ حالٍ!

ثمَّ يقولُ سبحانَه منكرًا وموبِّخًا: فما للكافِرينَ لا يُؤمِنونَ بالآخِرةِ، ولا يُقِرُّونَ بالبَعْثِ بعدَ الموتِ، وإذا قُرِئَ عليهم القُرآنُ لا يَسجُدونَ للهِ؟! لا يُوجَدُ ما يَمنَعُهم مِن الإيمانِ والسُّجودِ، بل هم يُكَذِّبونَ بالقُرآنِ والبَعثِ؛ عِنادًا وكِبْرًا، واللهُ أعلَمُ بما يَجمَعُه الكافِرونَ في صُدورِهم مِنَ الكُفرِ والتَّكذيبِ؛ فبَشِّرْهم -يا محمَّدُ- بعَذابٍ مُؤلِمٍ، إلَّا الَّذين تابُوا منهم فآمَنوا، وأطاعوا اللهَ تعالى؛ فأولئك لهم في الآخِرةِ أجرٌ كامِلٌ غَيرُ مَنقوصٍ ولا مَقطوعٍ.

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) فَلا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ (16) وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ (17) وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ (18) لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ (19) فَمَا لَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ (20) وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لا يَسْجُدُونَ (21) بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ (22) وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ (23) فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (24) إِلا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ (25) .

﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ﴾﴿16﴾

(فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ) أي: فأُقسِمُ بالحُمْرةِ الَّتي تَلُوحُ في الأُفُقِ بَعْدَ غُروبِ الشَّمسِ. موسوعة التفسير

قال السعدي: أقسم في هذا الموضع بآيات الليل، فأقسم بالشفق الذي هو بقية نور الشمس، الذي هو مفتتح الليل.

وقال ابنُ عاشور: (الشَّفَقُ: اسمٌ للحُمْرةِ الَّتي تَظهَرُ في أُفُقِ مَغرِبِ الشَّمسِ إثْرَ غُروبِها، وهو ضياءٌ مِن شُعاعِ الشَّمسِ إذا حَجَبها عن عُيونِ النَّاسِ بَعضُ جِرمِ الأرضِ).

قال ابن عثيمين: في قَولِه تعالى: فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ سؤالٌ: لِماذا يُقْسِمُ اللهُ تعالى على خَبَرِه وهو سُبحانَه الصَّادِقُ بلا قَسَمٍ؟! وكذلك يُقْسِمُ النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وآلِه وسلَّم على خَبَرِه، وهو صادقٌ بلا قَسَمٍ؟!

الجوابُ: أنَّ القَسَمَ يُؤَكِّدُ الكلامَ؛ والقرآنُ الكريمُ نَزَلَ باللِّسانِ العربيِّ، وإذا كان مِن عادتِهم أنَّهم يُؤَكِّدون الكلامَ بالقَسَمِ صار هذا الأسلوبُ جاريًا على اللِّسانِ العربيِّ الَّذي نَزَلَ به القرآنُ.

قال الشربيني: سؤالٌ: أنَّه قد ورد الحَظْرُ بأنْ يُقسَمَ بغَيرِ اللهِ تعالى، أو بصِفةٍ مِن صِفاتِه!

←الجوابُ: أنَّ ذلك الحَظْرَ في حَقِّ الإنسانِ، وأمَّا اللهُ تعالى فإنَّه يُقسِمُ بما شاء مِن خَلْقِه.

قال ابن عاشور: ولعلَّ ذِكرَ الشَّفَقِ إيماءٌ إلى أنَّه يُشبِهُ حالةَ انتِهاءِ الدُّنيا؛ لأنَّ غُروبَ الشَّمسِ مِثلُ حالةِ الموتِ، وأنَّ ذِكرَ اللَّيلِ إيماءٌ إلى شِدَّةِ الهَولِ يومَ الحِسابِ، وذِكرَ القَمَرِ إيماءٌ إلى حُصولِ الرَّحمةِ للمُؤمِنينَ.

﴿وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ﴾﴿17﴾

(وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ) أي: وأُقسِمُ باللَّيلِ وما جَمَع وضمَّ فيه مِن مَخلوقاتٍ. موسوعة التفسير

قال السعدي: أي: احتوى عليه من حيوانات وغيرها.

جَمَع وضَمَّ ما كان مُنتَشِرًا بالنَّهارِ في تصَرُّفِه؛ وذلك أنَّ اللَّيلَ إذا أقبَلَ أَوى كُلُّ شَيءٍ إلى مأواه. موسوعة التفسير

وقال القاسمي: (فكأنَّه تعالى أقسَمَ بجَميعِ المخلوقاتِ، كما قال: فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ * وَمَا لَا تُبْصِرُونَ [الحاقة: 38، 39]).

بما جنّ وستر ما ساق من ظلمة، ما ساق من الذوات والمخلوقات التي تأوي إلى أماكنها ومحالها وبيوتها أو ما ساق من شرور شياطين وما إلى ذلك، فإن الليل يكون مظنة لانتشار الشياطين، شياطين الإنس والجن، ولهذا النبي –ρ– أمر بكف الصبيان عند إقبال الليل لأنهم ينتشرون – وتنتشر الهوام والسباع في الليل.

﴿وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ﴾﴿18﴾

(وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ) أي: وأُقسِمُ بالقَمَرِ إذا تمَّ واكتَمَل فصار بَدْرًا مُنيرًا. موسوعة التفسير

قال السعدي: أي: امتلأ نورًا بإبداره، وذلك أحسن ما يكون وأكثر منافع. ثم ذكر جواب القسم قوله: (لَتَرْكَبُنَّ)

﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾﴿19﴾

(لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ) أي: لَتَرْكَبُنَّ -أيُّها النَّاسُ- حالًا بَعْدَ حالٍ. موسوعة التفسير

قال السعدي: أي: أطوارا متعددة وأحوالا متباينة، من النطفة إلى العلقة، إلى المضغة، إلى نفخ الروح، ثم يكون وليدًا وطفلا ثم مميزًا، ثم يجري عليه قلم التكليف، والأمر والنهي، ثم يموت بعد ذلك، ثم يبعث ويجازى بأعماله، فهذه الطبقات المختلفة الجارية على العبد، دالة على أن الله وحده هو المعبود، الموحد، المدبر لعباده بحكمته ورحمته، وأن العبد فقير عاجز، تحت تدبير العزيز الرحيم، ومع هذا، فكثير من الناس لا يؤمنون.

لَتَكونُنَّ نُطفةً، ثمَّ عَلَقةً، ثمَّ مُضغةً، ثمَّ تُنفَخُ الرُّوحُ، فتَحْيَونَ إلى أن تموتوا، ثمَّ تُبعَثونَ، ثمَّ تُحاسَبونَ، ثمَّ تَصيرونَ إلى الجَنَّةِ أو النَّارِ. موسوعة التفسير

وقال ابنُ كثيرٍ: (قال الحسنُ البصري: طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ يقولُ: حالًا بعدَ حالٍ، رخاءً بعدَ شِدَّةٍ، وشدةً بعدَ رخاءٍ، وغنًى بعدَ فقرٍ، وفقرًا بعدَ غنًى، وصحةً بعدَ سقمٍ، وسقمًا بعدَ صحَّةٍ).

ويتنقلون بين الإيمان والنفاق والكفر من حال الى حال، قال النبي -ρ-: "بَادِرُوا بالأعْمَالِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ المظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ دِينَهُ بعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا". رواه مسلم

﴿فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾﴿20﴾

مُناسَبةُ الآيةِ لِما قَبْلَها: قال البقاعي: لَمَّا ظَهَر المرادُ ولم يَبْقَ إلَّا العِنادُ؛ سَبَّب عن ذلك الإنكارَ على الكافرينَ والتَّوبيخَ والتَّقريعَ والتَّهديدَ؛ فقال مُعْرِضًا عن خِطابِهم إلى الغَيبةِ؛ إيذانًا باستِحقاقِهم للأخْذِ إنْ لم يَرجِعوا

(فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ) أي: فما الَّذي يَمنَعُ الكافِرينَ إذَنْ مِنَ الإيمانِ بالآخِرةِ، والإقرارِ بالبَعْثِ بعدَ الموتِ، واللهُ هو المتصَرِّفُ في الكَونِ كيف يَشاءُ، وقد ظهَرَت لهم دلائِلُ الحَقِّ، وقامت عليهم حُجَجُه البَيِّنةُ. موسوعة التفسير

التَّعجيبُ والإنكارُ مِن عدَمِ إيمانِهم مع ظُهورِ دَلائِلِ صِدقِ ما دُعُوا إليه، وأُنذِروا به.

﴿وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ﴾﴿21﴾

(وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ) أي: وما لَهم إذا قُرِئَ عليهم القُرآنُ لا يَسجُدونَ لله تَعظيمًا وخُضوعًا له. موسوعة التفسير

قال ابن عاشور: على القولِ بأنَّ السُّجودَ مُستعمَلٌ بمَعْنى الخُضوعِ والخُشوعِ، فقيل: المعنى: إذا قُرِئَ عليْهم القُرآنُ لا يَخضَعون للهِ ولِمَعاني القُرآنِ وحُجَّتِه، ولا يُؤمِنون بحَقِّيَّتِه، ودَليلُ هذا المعْنى مُقابَلَتُه بقَولِه: بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ [الانشقاق: 22].

قال البِقاعي: (أي: يَخضَعونَ بالقَلبِ ويَتذَلَّلونَ للحَقِّ بالسُّجودِ اللُّغَويِّ، فيَسجُدونَ بالقالَبِ السُّجودَ الشَّرعيَّ لتِلاوتِه).

قال د. خالد السبت أي: لا يخضعون للقرآن، ولا ينقادون لأوامره ونواهيه، إما أن يكون المراد بالسجود الخضوع، وإما أن يكون المراد به السجود الذي يكون للتلاوة تعظيمًا لهذا القرآن، وهذا السجود الذي يكون للتلاوة يتضمن الخضوع؛ فإن هذا الذي يسجد يتواضع ويخضع لربه -تبارك وتعالى-، وهم لا يفعلون هذا ولا هذا، لا يحصل منهم لا السجود ولا الخضوع، بل لا تزيدهم آيات القرآن المنزلة إلا رجسًا على رجسهم كما أخبر الله -تبارك وتعالى- عنهم.

على مَشروعيَّةِ سُجودِ التِّلاوةِ هنا.

﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ﴾﴿22﴾

(بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ) أي: لا يُوجَدُ ما يَمنَعُهم مِن الإيمانِ والسُّجودِ؛ فدلائِلُ الحَقِّ واضِحةٌ ومُتوفِّرةٌ، وإنَّما مِن سَجِيَّةِ الَّذين كَفَروا وعادتِهم المستَمِرَّةِ: التَّكذيبُ بالقُرآنِ، والبَعثِ، والجنَّةِ والنَّارِ؛ عِنادًا أو كِبْرًا منهم دونَ حُجَّةٍ وعُذرٍ. موسوعة التفسير

قال السعدي: أي: يعاندون الحق بعدما تبين، فلا يستغرب عدم إيمانهم وعدم انقيادهم للقرآن، فإن المكذب بالحق عنادًا، لا حيلة فيه.

كما قال تعالى: بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ [الروم: 29].

وقال سبحانه: بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ [البروج: 19].

﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ﴾﴿23﴾

(وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ) أي: واللهُ أعلَمُ بما يَجمَعُه الكافِرونَ في صُدورِهم مِنَ التَّكذيبِ والآثامِ. موسوعة التفسير

وقال ابن القيم: يعلم ما يجمعونه من الأعمال فيجازيهم عليه بعلمه وعدله، فالله قد أحصى ذلك وعلمه.

فالمرء يكون في اتعاظ واعتبار ومسابقة ومسارعة للخيرات ، فهو يعلم أن الله يحصي له أعماله، إذا جاء الليل رُفع عمل النهار ، وإذا جاء النهار رُفع عمل الليل ؛ فليغنم المرء نهاره قبل أن يأتي الليل ، وليغنم ليله قبل أن يأتي النهار.

قال رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَنَامُ، وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ، يَخْفِضُ الْقِسْطَ وَيَرْفَعُهُ، يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهَارِ، وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ عَمَلِ اللَّيْلِ" . صحيح مسلم

لا بد من المسارعة في الخيرات وعدم التسويف لديك صندوق تجمع به أعمالك التي ستوزن فإن ثقلت فلحت وإن خفت تكبدت خسائر لا عوض لها فلا تنشغل بجمع الأموال والأولاد والمناصب والألقاب وتنسى نصيبك من الدنيا في العلم النافع والعمل الصالح .

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَنْكِبِي فَقَالَ : "كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ" . وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ يَقُولُ : إِذَا أَمْسَيْتَ فَلَا تَنْتَظِرْ الصَّبَاحَ ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلَا تَنْتَظِرْ الْمَسَاءَ ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ ، وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ. رواه البخاري

إن في هذا الحديث الشريف الحث على تقصير الأمل في الدنيا ، فإن المؤمن لا ينبغي له أن يتخذ الدنيا وطناً ومسكناً فيطمئن فيها، ولكن ينبغي أن يكون فيها كأنه على جناح سفر همّه جمع متاعه للرحيل، فيجب الحذر من الإغترار بالدنيا وزينتها لأن طول الأمل يورث العبد المعاصي، قال تعالى : { يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ} [فاطر:5] ، وقال تعالى : {وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ } [الحديد:20] .

عن عبد الله بن مسعود –τ– قال : نَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى حَصِيرٍ فَقَامَ وَقَدْ أَثَّرَ فِي جَنْبِهِ ، فَقُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوْ اتَّخَذْنَا لَكَ وِطَاءً ؟ فَقَالَ : "مَا لِي وَمَا لِلدُّنْيَا مَا أَنَا فِي الدُّنْيَا إِلَّا كَرَاكِبٍ اسْتَظَلَّ تَحْتَ شَجَرَةٍ ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا" صحيح الجامع.

(وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ) قال السعدي: أي: بما يعملونه وينوونه سرًا، فالله يعلم سرهم وجهرهم، وسيجازيهم بأعمالهم.

﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾﴿24﴾

(فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ) أي: فبشِّرْ –يا محمَّدُ– أولئك الكافِرينَ بعَذابٍ مُوجِعٍ في غايةِ الإيلامِ. موسوعة التفسير

قال السعدي: وسميت البشارة بشارة، لأنها تؤثر في البشرة سرورًا أو غمًا.

فهذه حال أكثر الناس، التكذيب بالقرآن، وعدم الإيمان [به] .

كما قال تعالى: فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ * الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ * يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا * هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ [الطور: 11 - 14].

﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾﴿25﴾

(إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ) أي: إلَّا الَّذين تابُوا منهم فآمَنوا بكُلِّ ما وَجَب عليهم الإيمانُ به، وأطاعوا اللهَ تعالى، فامتَثَلوا أمْرَه واجتَنَبوا نَهْيَه؛ فأولئك لهم في الآخِرةِ أجرٌ كامِلٌ غَيرُ مَنقوصٍ، ودائِمٌ غيرُ مَقطوعٍ. موسوعة التفسير

قال ابن عثيمين: فيه دوامُ نعيمِ المؤمِنينَ العامِلينَ الصَّالحاتِ؛ فقولُه تعالى: غَيْرُ مَمْنُونٍ أي: لا يُقْطَعُ، كما قال تعالى: وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا [مريم: 62] .

هذا استثناء منقطع، يعني لكن الذين آمنوا أي: بقلوبهم، وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ أي: بجوارحهم، لَهُمْ أَجْرٌ أي: في الدار الآخرة، ، غَيْرُ مَمْنُونٍ قال ابن عباس: غير منقوص

قال السعدي: ومن الناس فريق هداهم الله، فآمنوا بالله، وقبلوا ما جاءتهم به الرسل، فآمنوا وعملوا الصالحات.

حاجَتُنا إلى الإيمَانِ وَالعمَلِ الصَّالِحِ أَشَدُّ مِنَ الهَوَاءِ وَالماءِ والطَّعَامِ فَتِلكَ قُوَامُ الجَسَدِ فَحسْبُ. والإيمَانُ وَالعمَلُ الصَّالِحُ سَعَادَةُ القَلْبِ فِي الدُّنيا، وَنَجَاةُ الجَسَدِ وَالرُّوحِ فِي الآخِرَةِ. والإيمَانُ بِلا عَمَلٍ صَالِحٍ ادِّعَاءٌ بِلا بُرهَانٌ! فَكَمْ مِنْ أُناسٍ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ وأَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ! وَلَكِنْ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيا! لأَنَّ عَمَلَهُم لَمْ يَتَّصِفِ بِالإِيمَانِ والصَّلاحِ.

كلما أدرك العبد المؤمن الثمرات التي سوف يجنيها نتيجة الإيمان والعمل الصالح مع الإخلاص لله عز وجل، زاده ذلك عملاً، وجهداً، وبذلاً وتضحية.

✹جمعوا بين الإخلاص في القلب - وهو أمرٌ باطن - والمتابعة للرسول -ρ- وهو أمرٌ ظاهر - فالبُشرى لمنْ جمع بين الأمرَيْن.

قال السعدي: فهؤلاء لهم أجر غير ممنون أي: غير مقطوع، بل هو أجر دائم مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

عن أبي هريرة -τ- قال: قال رسول الله -ρ-: "قالَ اللَّهُ تَبارَكَ وتَعالَى: أعْدَدْتُ لِعِبادِي الصَّالِحِينَ، ما لا عَيْنٌ رَأَتْ، ولا أُذُنٌ سَمِعَتْ، ولا خَطَرَ علَى قَلْبِ بَشَرٍ. قالَ أبو هُرَيْرَةَ: اقْرَؤُوا إنْ شِئْتُمْ: {فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ}[السجدة: 17]" صحيح بخاري.

ويقول النبي -ρ-: "إذا صارَ أهْلُ الجَنَّةِ إلى الجَنَّةِ، وأَهْلُ النَّارِ إلى النَّارِ، جِيءَ بالمَوْتِ حتَّى يُجْعَلَ بيْنَ الجَنَّةِ والنَّارِ، ثُمَّ يُذْبَحُ، ثُمَّ يُنادِي مُنادٍ: يا أهْلَ الجَنَّةِ لا مَوْتَ، ويا أهْلَ النَّارِ لا مَوْتَ، فَيَزْدادُ أهْلُ الجَنَّةِ فَرَحًا إلى فَرَحِهِمْ، ويَزْدادُ أهْلُ النَّارِ حُزْنًا إلى حُزْنِهِمْ". صحيح بخاري

وقال-ρ-: "إنَّ أهْلَ الجَنَّةِ يَأْكُلُونَ فيها ويَشْرَبُونَ، ولا يَتْفُلُونَ ولا يَبُولونَ ولا يَتَغَوَّطُونَ ولا يَمْتَخِطُونَ. قالوا: فَما بالُ الطَّعامِ؟ قالَ: جُشاءٌ ورَشْحٌ كَرَشْحِ المِسْكِ، يُلْهَمُونَ التَّسْبِيحَ والتَّحْمِيدَ، كما تُلْهَمُونَ النَّفَسَ". رواه مسلم

قال -Y-: (وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ)[التوبة:72].

كما قال تعالى: {إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ * هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلالٍ عَلَى الأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ * لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ * سَلَامٌ قَوْلاً مِن رَّبٍّ رَّحِيمٍ} [يس: 55 - 58]

وتمام السعادة؛ إنهم مع هذا النعيم في مقامٍ أمينٍ من الموت والانقطاع، فهو نعيمٌ سَرمَدِيٌّ أَبَدِيٌّ.

اللهمَّ إنَّا نَسألُك إيمانا صَادِقا وعَمَلا صَالِحًا مُتقَبَّلا. اللهمَّ ثَبِّتنا بِالقولِ الثَّابت في الحياةِ الدُّنيا وفي الآخرةِ.

تم تفسير السورة ولله الحمد